قصة

العلم والفن !

التقت عيناها بعينيه فخفضتهما ، وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل . فجذبت الفراء على كتفيها حتى غطى جانبا من وجهها . ثم انسلت مسرعة إلى الخارج . فاقتفى أثرها وهى تلتفت وراءها الفينة بعد الفينة فتلتقى أنظارهما . . فلما وصلت الى الباب وقفت تنظر اليه كأنها تتحداه ، واقترب هو منها فابتدرها بقوله :

ـــ لقد رأيتك

ـــ رأيتنى ماذا ؟

ـــ رأيتك وأنت تضعينها فى جيبك ، فبدت كأنها مرتاعة وتغيرلون وجهها بين الحمرة والصفرة والبياض كما تتلون الحرباء . . ولكنها تصنعت الجلد وقالت :

ـــ لا أفهم شيئا مما تقول !

ـــ رأيتك تسرقين تلك الزمردة . .

ـــ يظهر أنك كنت فى حلم ! !

ـــ كلا ياسيدتى . . انى متيقظ جيدا . وخير لك أن ترجعى الزمردة لصاحبها

ـــ وأى شأن لك فى هذا ؟ هل أنت بوليس سرى ؟

ـــ لست بوليسا ولكن البوليس قريب منا على كل حال . .

فأدارت بصرها متتاعة ، ولحظ هو ذلك منها فرمقها شذرا وقال مستنليا :

ـــ وها أنذا سأدعوه . .

فمدت اليه يدها جزعة منتفضة وقالت :

ـــ بالله عليك لاتكن قاسيا الى هذا الحد !

فحدق فيها تحديقة خبير ناقد ثم قال لها بصوت خفيض :

ـ انا واقفان هنا فى الطريق فلانستطيع أن تحدث فى هذه المسألة الدقيقة فى مكان كهذا . . فهل تريدين أن تصحبينى الى منزلى عسانى أجد لك مخرجا من المازق الذى ألقيت بنفسك فيه ؟

فغمزت بعينها وقالت ـــ واذا رفضت أن أذهب معك ؟

أجابها ــ البوليس و . . .

فقاطعته ــ إذن هيا بنا . . (وابتسمت ابتسامة مريرة وهى تقول) هل أعتبر نفسى تحت القبض ؟

فأجابها ممتعضا ــ لقد اخبرتك أنى لست من رجال البوليس

ونزلا فاستقلا سيارة دون أن ينبسا بكلمة . . واستمسك كلاهما بالصمت واختلاس النظر من بعضهما حتي أصبحا داخل مسكنه . فرقف تجاهها وبادرها من فوره قائلا :

ــ أظن ان الافضل أن نتكلم « على المكشوف » كما يقول المثل . . لماذا سرقت الزمردة ؟

فأجابته فى جرأة ـ لا أريد أن أخبرك بشىء !

ورد عليها بهدوء ــ ولكنك ستخبرنى على كل حال !

فهزت رأسها الصغير بعنف ضاغطة باسنانها على فكيها قائلة ــ أي حق لك فى أن تلقى على هذا السؤال ؟!

قال ــ لأنى أنا الذى رأيتك ترتكبين تلك الفعلة .

قالت ــ اولى لك ان تعنى بشؤون نفسك اذا كان لديك ما تعنى به من الشؤون خير من ان تتدخل فيما لايعنيك

قال ــ أشكرك على نصيحتك الثمينة وأؤكد لك انى من أجل العناية بشؤونى قد طلبت اليك ان تصحبينى الى هنا

ثم سكت هنيهة ولم تنطق هى بحرف كذلك بالرغم من الدهشة التى كانت مستولية عليها . . ثم استئنى هو قائلا :

ــ أود أن استبقيك هنا بضعة أسابيع قليلة . .

فلم تستطع كظم دهشتها وارتفع صدرها بين الشهيق والزفير وهى تجاوبه :

ـ يظهر انك مجنون ! (واتبعت ذلك بصوت خفيض) وفضلا عن ذلك فانى مخطوبة !!

فما كاد يسمع هذا منها حتى انفجر من هدوئه الذى لازمه حتى هذه اللحظة وقال صوت دوى فى ارجاء المكان :

ــ لست ابالى بشىء من هذا فانا انما اريدك من أجل قوامك المعتدل وجسمك البديع

ــ هذا مستحيل لانى مخطوبة لغيرك ! !

ـ انا لا يهمنى من أمر خطيبك شيء ! وانما يجب ان أوضح لك المسألة لئلا تسيئى فهم قصدى . . فانا لست اريدك لأنى . . احبك . . أو أى شيء من هذا القبيل . . كلا . لكنى اريد أن أرسمك

ـــ كلا ، ولا هذا أيضا !

ـــ ولكنى سأدفع لك ثمن الصورة . .

ـــ تدفع لى !

ـــ نعم ، سأدفع ثمن الزمردة التى . . سرقتها . . مضافا الى ذلك سكوتى عن التبليغ ضدك بشأنها

فأصاب هذا الكلام الهدف . . وسادها السكون برهة غير قصيرة . . ثم قالت :

ـــ وماذا تطلب منى ان أفعل ؟

ـــ إما ان تقفى أو تجلسى أو تضطجعى بينما أقوم انا برسم الصورة

(برهة صمت أخرى)

هى ـــ وبأى ثياب تريد أن ترسمنى ؟

هو ـــ بالثوب الذى اختاره لك . . أو . . بلا ثياب .

فارتعشت جفونها ، وعاود لون الارجوان وجهها ، وأطرقت مستحيية وهى تقول :

ـــ ومقابل هذا . . ؟

قال ـــ سأدفع ثمن تلك الزمردة للجواهرى . . صاحبها . . فانى أعرفه معرفة وثيقة تضمن لى سكوته ما دمت سوف ادفع له ثمنها . . وفوق ذلك فأن أحدا ان يعلم من أمر هذه الحادثة شيئاً

قالت ـــ لكنى لا استطيع ذلك لأننى . . .

فقاطعها بصوت خفيض كأنما يحدث بنفسه :

ـ . لعنة الله على السجن ، ما أقذره لاسيما لسيدة ظريفة مثلك . . بل أن . . .

فمدت ذراعها تكفه عن متابعة حديثه قائلة فى استسلام :

ـــ كفى . كفى . . لقد قبلت ما دام لا مناص من القبول

ـــ الحمد لله ! هيا بنا اذن نكتب عقد الاتفاق

ثم تناول ورقة وقلما فكتب العقد محدداً مدة العمل بثلاثة اسابيع ، وبعد أن فرغ من كتابته قدمه لها لتوقع عليه ، فتناولته من يده وقرأته ثم قالت :

ـــ ألا تكفيك كلمتى بأنى قبلت حتى تريد أن ترغمنى على توقيع هذا العقد ؟

أجابها ـ لست أشك مطلقا فى قيامك بعهدك واحتفاظك بكلمتك . . ولكن هذه هى الطريقة العملية للمعاملات

فتنهدت تنهيدة خفيفة وتناولت القلم بيد ثابتة ظاهر عليها حسن الاعتياد على القبض على ناصيته ووقعت به اسمها واضحاً جلياً « ميليسنت باتون » . ثم تناول هو منها القلم بدوره ووقع به « جورج ايفرتن » ثم قال :

ـــ أهنئك يامس (آنسة) باتون وأشكرك . . والآن أرجوك أن تحضرى الى « الاستوديو » (صالة التصوير) فى الساعة العاشرة من صباح الغد . وهاك العنوان

فتناولت منه ورقة العنوان وغادرته خارجة وصدرها مختلج بمشاعر متباينة متضاربة وتركته مفكراً متأملا فى الفرصة السعيدة التى الفت فى طريقه هذه المرأة الباهرة . وهو حين وقع بصره عليها لأول مرة أخذ بجمالها الفتان ليس كما نؤخذ نحن الرجال العاديون ! وإنما كما يؤخذ الفنان ويبهر حين يقع على ضالته . . فهو مذ رآها تخيل فيها الصورة التى اذا أخرجتها ريشته على حقيقتها لوقف كل من رآها تجاهها محتبس النفس طربا وإعجابا . . وهاهى ذى قد وقعت فى فخ كانما قد نصبه لها شيطان الفن ! !

وكانت نقرتها فى صبيحة اليوم التالى على باب الاستوديو رقيقة مترددة ، ونظرتها حيية حائرة . .

قال لها ايفرتن ـ تكرمى بخلع ثيابك خلف تلك الستارة يامس باتون والبسى هذا .

وكان «هذا» ثوبا حريريا شفافا تكاد العين تخطئه وتنكر وجوده إذ يبدو ماتحته واضحاً جلياً بغير ماحجاب ، وهو يشبه فى طرازه الثياب التى كانت تلبسها غانيات اليونان والرومان فى الازمان الغابرة . . فنظرت اليه الفتاة نظرة فزع ولكنها لم تلبث ان اختفت ـ دون أن تنبس ببنت شفه ـ وراء الستارة ثم عادت بعد هنيهة إلهة من آلهة الجمال ، جديرة بأن يسجد عند قدميها عشاق الفن الجميل

حتى ايفرتن التى كانت صورتها مطبوعة فى خياله لم يستطع حين رآها على تلك

الصورة الا لهية إلا أن حياها بتوهج وجنتيه - إن صح التعبير ! - و بريق فى عينيه ، لاسيما حين وقع بصره على وجهها وعنقها ونهودها

وبينا هو يفحصها بنظره فحصاً فنياً ليقرر الوضع الذى يرسمها عليه قال لها :

ـــ لاتخجلى منى فانى فنان وحسبك هذا ، وفضلا عن ذلك فليست هذه بالمرة الأولى التى تأملتك فاحصاً هكذا . . .

فحدجته بعينيها الصافيتين بنظرة مستفسرة ، فاستتلى قائلا .

ـــ نعم ، لقد رأيتك وأنت فى عشتك فى الصيف الماضى على شاطىء البحر ، وكنت تحسبين نفسك وحيدة بينما كنت أنا أختلس النظر اليك - بعين فنان من فضلك ! - من ثقب فى العشة

فالتهب جسمها بمد من القرمز لدى سماعها تلك الذكرى . . ولكن الرسام كان ينظر اليها الآن . ولقد أنساه فنه نفسه بل جرده منها ! !

ووقفت الفتاة لاتبدي حراكا كأنما هى واقفة أمام الابدية بينما جعل الرسام يخطط بسرعة فائقة بقطعة من الفحم الرسم الكروكى وهو لايفتأ يلقى عليها النظرة تلو النظرة بعينين كأنهما عدستان تنقلان ماتقعان عليه نقلا دقيقا على لوحته

وبعد برهة أدركته عليها الشفقة ، فتعطف قائلا :

ـــ لقد جعلتك تقفين طويلا فى هذا الوضع فاستريحى الآن قليلا !

فطرحت نفسها فى مقعد وهى تتلوي وتفرك فخذيها وساقيها بيديها لتلين عضلاتها المتألمة

ما أحلاك ياميليسنت وما أبدعك ! نهود بارزة ، وصدر عاجى ، وأعضاء ملفوفة متناسقة ، وبشرة ملساء فى لون القشدة ، وفم ناضح مترجرج . وجه افروديت ولكنه ملىء بحرارة الحياة !

ولقد مدت بصرها وهي جالسة فى مقعدها نحو الصورة السريعة التى رسمها لها فلم تستطع هى نفسها إلا أن عجبت كيف يكون لها هذا الجمال الكامل ! وجعلت تسائل نفسها عما اذا كانت جميلة حقا بهذا المقدار ! ؟ وهل هى . . .

ولكن الرسام قطع حبل تفكيرها قائلا :

ـــ هلمى الى عرشك ثانياً يامس باتون

فنهضت متثاقلة وعادت الى موقفها واقترب الرسام منها وراح يقلبها ذات اليمين وذات الشمال ، يلوى رأسها تارة ويعدل كتفيها تارة اخرى وهو لايبدو عليه فى كل هذا أى أثر من الحس الجنسى حتى لكأنما التى يقلبها قطعة من خشب أو مطاط وليست انثى يجرى الدم فى عروقها حارا !!

وما من وضع يخطر ببال مصور سواء أكانت واقفة أو جالسة أو مضطجعة إلا استعرضها فيه . . . تارة شامخة بأنف المنتصر . . . وأخرى قابعة تنوء بالهزيمة . . . وطورا تصوب من عينيها سهام الاغراء والفتنة . . . وآنا مفكرة متأملة . . . وما لايعد ولا يحصى من مختلف المناظر والمظاهر ! !

ومضى اسبوعان وبدأ الثالث والنموذج مستسلم ! ولكنها تبدو عليها بين آن وآن علائم قلق متزايد ، فيسألها إيفرتن بغير اهتمام :

ـــ هل هناك شيء يزعجك ؟

ـــ كلا . . المسألة بسيطة . . اشكرك

ـــ ولكن هناك « مسألة » على كل حال . . فهل يمكنك ان تخبريني ماهى ؟

ـــ إن خطيبى سيحضر فى هذا الاسبوع

ـــ وماذا يهم ؟ ؟ دعيه يحضر ! !

ـــ لكن . .

لم يهتم ايفرتن بمعرفة ماوراء هذه الـ « لكن . . . » ، وذهب احتجاجها صرخة فى واد . . ولكنهما حين جلسا لتناول طعام الغداء فى الاستوديو حيث كان ايفرتن قد أعده فيه توفيرا للوقت ـــ ذكر الحديث الذى دار بينه وبينها حول خطيبها فسألها قائلا :

ـ لقد كنت تكلمينني عن خطيبك هذا الصباح ؟

ـ نعم ، فهو حاضر فى هذا الاسبوع

ـ وبعد ذلك ؟

ـ افضل أن لا يرانى على هذه الحال أو يعلم انى . .

ـ ولماذا ؟

ـ أولا هو ليس فنانا ليقدر الموقف ، وفضلا عن ذلك فان آراءه رجعية قديمة . .

ـ فليذهب الى الجحيم اذا شاء !! لاتكلميني ثانية عن هذا الـ ...

ـ الحق انه رجل طيب ولكنه ..

ـ لكنه ماذا ؟

ـ يثور ثائره اذا عرف انى ...

ـ كان ينبغى عليه أن يسجد شكراً لله الذى جعل مثل هذا الجمال (مشيراً اليها) ملكاً له

ـ بالطبع هو يحبنى حباً جماً ولكن ...

ـ بالله دعينا من هذه اللكنات (جمع لكن) وهلمى بنا الى العمل

ـ لقد ظننت انك ستصنع لى صورة كبيرة مثل ...

ـ ستكون الصورة كبيرة بالطبع ، وسأبدأ فى عملها منذ هذه الساعة

وقام فسحبها من يدها وذهب بها الى اريكة أجلسها ـ أو أضجعها على الاصح ـ عليها وراح يلويها ويعدلها ويدفعها ويجذبها حتى استقر على الوضع الذى راق له فقال لها :

ـ عليك الآن أن تصمدى على هذا الوضع كما لو كنت قطعة من الأريكة .

ثم تركها وذهب الى مكانه أمام لوحة الرسم ، وراح يشتغل كما لو كان على بعد مليون ميل منها ! لولا عينيه اللتين كانتا ترسلان النظر الى كل عضو من أعضائها وضلع من أضلاعها حتى يكاد ينفذ الى صميم قلبها

ومضت بضعة أيام وذلك الوضع لما يتغير وايفرتن مشتغل بهمة فائقة ونشاط عظيم ، أما هى فقد برح بها الألم الى حد انها كانت تعاف أن تنظر الى التقدم المطرد فى صورتها يوما عن يوم !!

وأخيرا قال لها ذات صباح :

ـ أظن انى سأنتهى من الصورة قبل نهاية مدة العقد

فاجابته ـ يسرنى أن أسمع منك ذلك ، فقد كلمنى خطيبى بالتليفون قائلا إنه سوف يحضر مساء اليوم ، ولست أريده أن يعرف شيئا عن هذه المسألة

قال ايفرتن ـ دعينا بالله من هذا السخف والهراء !!

ولكن خطيبها لم يلبث أن أحاط بكل شىء خبرا !! فهو قد وصل فى قطار سابق للقطار الذى أعلنها بأنه سيصل فيه .. فلما ذهبت ميليسنت لتقابله على رصيف محطة فى

الموعد الذى حدده لها ، كان هو يقرع باب الرسام ايفرتن ، إذ كان قد علم من جيرتها بأنها تقضى معظم نهارها كل يوم لدى ذلك الفنان ليرسمها ، وما أن فتح له ايفرتن الباب حتى حياه باحتشام سائلا عن خطيبته فأجابه ايفرتن :

ـــ كلا ياسيدى ان الآنسة باتون ليست هنا الآن

ولكن نظر خطيبها وقع على عدة صور لها فى كل مكان ؛ ولم تكن صورة واحدة من عدة نسخ ، بل كانت عدة صور فى أوضاع مختلفة : هذه تظهرها من الجانب الايمن ، وتلك صورة مواجهة ، وغيرهما وهى مضطجعة تستعرض ليونة خصرها . ورابعة مفترة الثغر عن ابتسامة ساحرة غاوية .. الى غير ذلك من الاوضاع الكثيرة حتى زحمت بصورها جميع انحاء الاستوديو .. فوقف خطيبها ذاهلا مبهوتا .. وفرك عينيه متوهما أنه فى حلم ! ولكن صوت الفنان لم يلبث أن صادفه على حسه باليقظة . وقال ايفرتن :

ـــ هل هناك شىء من الخطأ ؟

ـــ شىء من الخطأ ! كلا ، بل ان كل شىء هنا خطأ فى خطأ ! اللهم اخزك يا ابليس اللعين ! ماهذا كله ياسيدى ؟؟

ـــ جمال فاضح !!

ـ كذلك هو فحش فاضح ! بل ان هذا الاسم هو الاصح لهذه المجموعة المتهتكة .. ولكن قل لى ياسيدى : كيف تبيح لنفسك أن ترسم لهذه السيدة مثل هذه الصور المنكرة ؟

ـــ هذا من شؤونى أنا و . . .

ـــ وهو وأيمن الله من شؤونى أنا أيضاً ! لابد لى من أن أحل هذه المسألة !

وقد قال جملته هذه الاخيرة وهو مندفع خارجاً من « الاستوديو » كالوحش المفترس إذ يهاجم غاضباً . .

oo

وبدهى أن الخطيب وخطيبته (مس باتون) تحادثا مليا فى تلك المسألة بدليل أنها عندما حضرت فى صبيحة اليوم التالى الى « الاستوديو » كانت متجهمة الوجه ، بادية التفكير ، ولم تكد تحتويها الغرفة حتى قالت :

ـــ لقد قال لى انى اذا وقفت لك مرة ثانية فأنه سوف يفسخ خطوبتنا

قال ايفرتن ـــ إذن أظن أنه يمكننى أن أكمل الصورة بدونك .. فيمكنك أن تذهبى الآن إذا شئت

فكان جوابها أن جرت مسرعة نحو الستار واختفت وراءها برهة ثم عادت .. عارية ... وأخذت موقفها المعتاد ...

ولما أتمت يومها قالت :

ـ ليفعل (خطيبها) ماشاء الآن ، فقد انتهيت منه ؟

وكأنها بهذا التصريح قد صوبت تياراً كهربائياً فجأة نحو الرسام ، فقال متلعثما :

ـ حقاً إنك .. أريد أن اقول لك أنى أشعر نحوك .. مدين لك . بالشيء الكثير!

والظاهر أنها هى قد ارتج عليها من عموض الموقف ، ولم تدر ماتقول ، فسكتت وساد الصمت بينهما برهة الى أن قطعه الرسام قائلا :

ـ تعالى وانظرى نتيجة عملنا .. أؤكد لك أنك ستغتبطين لهذه النتيجة ، فانت على ما أظن لم تسالى أن تنظرى يوما الى هذه الصورة ! ؟

فمالت وهى ماتزال جالسة على عرشها ونظرت الى الصورة الفنية الرائعة . فما كادت تستوعبها حتى صاحت صيحة فرح عظيمة قائلة :

ـ يالله !ما أجملها ! ولكن . مستحيل أن أكون أنا صاحبة هذه الصورة الجميلة البديعة .

فقاطعها بحرارة قائلا :

ـ انك أجمل منها بلا شك !

فأجابته ـ كلا ، بل أنت الرجل العظيم .

وكأنما خشى ايفرتن أن يندفع وراء عواطفه فينسى نفسه فقال :

ـ لقد نسيت أن أخبرك .. فقد ذهبت بالامس لأدفع ثمن تلك الزمردة فقال لى، الجواهرى انك قد دفعت له ثمنها فعلا قبل أن أخذتيها منه . فلماذا اذن (وهنا لان صوته وبانت فيه نغمة الاسى والاسف) لماذا اذن تركتينى أمضى فى اتهامى لك بانك .. ؟

وقطع كلامه عند هذا الحد منتظرا جوابها

فأجابت فيما يقرب من الهمس : ـ لانى ..

ولم تزد .فوضع يده برفق على كتفها ونظر اليها نظرة استعطاف لم تعهدها فيه من قبل قائلا

ـ ألا ما أخبرتنى يا .. ميليسنت ؟

فقربت فمها من أذنه وأجابت بصوت خفيض :

ـ لانى .. لانى أردت أن أكون .. بقربك .

فضمها بين ذراعيه متمتما . « ان الزمرد يرمز به المنجمون الى السيار الزهرة . وهو لديهم شعار الحب ـ عيد .. أسعد هذه الزمردة !! »

قصة

عطة الدهر
أو
نزق الشباب

١ ـ الفطرة البريئة

هناك على الشاطىء الشرقى للنيل فى ذلك المكان الهادىء الجميل حيث الاشجار الباسقة والاغصان المزهرة والحدائق الغناء الوارفة الظلال ، هنالك وفي وسط تلك المملكة البديعة ، يبدو قصر أشم منيف قد كساه الزمان بجمال الطبيعة وخلع عليه الربيع حلة السعادة وأكسبه صفاء الأديم منظراً بهيجاً .

فى احدي غرف تلك الجنة الواسعة الانحاء المترامية الاطراف على احدى الارائك جلس علاء الدين ، ذلك الشاب الانيق المنظر الجميل الطلعة يترقرق ماء الحياة فى وجهه و تبتسم الطبيعة لطلعته وتنشرح الصدور لشروق محياه .

جلس كذلك يبدو على وجهه شيء من الجزع والحزن الصامت الرهيب تنتابه الهواجس وتزعجه الظنون والاوهام .

جلس آسفا حزينا جلسة الفيلسوف في صمته أو الراهب فى صومعته وقد أحزنه فراق والديه اللذين ربياه صغيرا وتعهداه كبيرا حتى شب وترعرع في احضانهما تحيوه النعمة و يسعده الشرف وتزهو لديه الحياة . ولكنها الفطرة البريئة أبت الا أن تتجلى صافية نقية ممثلة فى روحها الطاهرة التى قد بعدت عن كل معانى الخداع والرياء

٢ ـ الغواية

وانه لكذلك جلست اليه أخته التى تغيب الشمس حماء لشرقها

و تذوب اغصان البان غيرة من قدها و اعتدال عودها ، و تذبل الوردة النضرة ازاء ورود خديها ، جلست اليه تسليه و تواسيه و تشاركه مافيه اذ أعلن الخادم قدوم صديقه الجديد (عزيز) فخرجت أخته واذن لعزيز بالدخول ، وما أن رآه على هذا الحال حتى بدأه بنوع من التهكم و التأنيب شأن الناصح الاريب قائلا : الا تزال على ما أنت عليه من طفولة و سذاجة تحزن وتجزع ولا أري لكل ذلك من سبب إلا انك لا تزال فى عقلك القديم ! ؟ علام تأسف وتالم و ترثى و تجزع ؟ اليست هذه هى سنة الطبيعة جرت فى مقاليدها وقدأبت الا أن تربحك ممن كانوا يضيقون عليك سبل الحياة الناعمة فى ظل الاخوان والاصدقاء و يحرمونك لذة الانس معهم و الصفاء ؟ جدير بمثلك أن يرفل فى حلل السعادة التي حرمها طويلا وان ينتهز فرصة الشباب قبل أن ينصرم حبله ، فيتخذ من اصدقائه وخلانه أنيسا ومن أحبائه رفيقا وجليسا . و يل لمن أنعم الله عليهم مثلك بذاك المال وهذا الجمال والشباب ثم هو لا يشكر الله عليها باستثمارها و التمتع بلذائذ الحياة وسعادتها ! !

وهنا دخل الخادم فأعلن سيده بوجود ابنة عمه فى انتظاره ، فاستأذن عزيز على أن يحضر فى الغد ، وانصرف وفى نفسه علائم مالا يحبه ، ولكن علاء رأى الا يضيع فرصة مالكة لبه وسالبة فؤاده تلك الجوهرة الثمينة الغالية التى كان يري فيها كل السعادة و الصفاء

٣ ـ الغرام الصادق

و ماهو ان ودع صديقه حتى طار الى الغرفة التي بها حبيبته (ابنة عمه مع اخته وما أن وقع بصره عليها حتى بهت وقال (رباه !! ماهذا الشحوب يا أنصاف؟ أكنت مريضة أم ماذا جرى ؟) فتنهدت من أعماق نفسها و رنت اليه بطرف ساحر و قالت (كلا ياعلاء فليس شيء من هذا أو ذاك فما أمرضنى الا أنت و ما أسقمنى الا جفاك ، فانت علتى وسبب دائى و فى يديك دوائى و شفائى ، لقد

عذبتنى ياعلاء وتركتنى أقاسى ألم النفس ولوعة البعاد، اليس لى في قلبك من شيء أوفي عطفك من نصيب ؟ لولا أختك العزيزة معك فى هذا القصر ما زرته ولا دخلته . فهى سلوتى عنك. لقد جئت أزوره ولاستنشق من روحها ما يخفف على آلامى ويسعدنى فى خلوتى.) فقطعت سعاد حديثها قائلة : لاتغضبى يا إنصاف فان المسألة كما قلت لك . فاسترسلت أنصاف فى حديثها قائلة (هل نسيت ياعلاء العهد الذى قطعناه امام والديك رحمة الله عليهما ، انك قاس ياعلاء الدين . انه لا تمر على لحظة من ليل أو نهار إلا وأنا أفكر فيك وفى السعادة التى انتظرها معك وفاء بذلك العهد الذي كاد يتم لولا القدر المحتوم الذي انقض علينا ففجعنا فى عمى . لقد كان يحبنا كثيراً ويحنو علينا ويعطف اذا ما رآنا مجتمعين فى الحديقة أو على المائدة . اليس كذلك ياسعاد ؟)

فاحنت سعاد رأسها علامة الايجاب واسترسلت أنصاف قائلة : (أجب ياعلاء أجب . فلقد ضاق صدرى وكادت أنفاسى تنقطع حتى أرانى لا أقوى على النطق ، عللى بامل أسعد به فى الحياة)

فترقرق الدمع فى عيني علاء وتلعثم لسانه فلم يستطع النطق حتى زفر زفرات حارة عبرت عن قرارة نفسه أجاب بعدها قائلا : لقد قتلتينى يا انصاف بقارص عتابك وقاسى لومك ، ومن أدراك أنني سلوتك أو نقضت العهد الذى لا تتم سعادتى إلا بالوفاء به ؟ كيف تعتقدين ذلك وأنت أمنيتى وسر وجودى بعد والدى وحياتى التى لاحياة لى بعدها !؟ من لى بعدكما يا انصاف ينسينى آلامى ويرثى لحالى ويسعد لسعادتى ويشقى لشقائى ؟ كيف ذلك وقد كان ذلك العهد آخر كلمة نطق بها كل من والدينا وأهم وصية لهما ؟ أنى أؤكد لك أنه مامنعنى من الاسراع فى التنفيذ إلا ما تعلمين من أمر وفاة والدى وما جره ذلك على من الوقوع فى مشاكل الحساب مع الزارع والمستأجرين ، وعما قريب أنتهى منها ويتم حظى ونسعد ان شاء الله) . فافتر

ثغرها عن ابتسامة عذبة رقيقة طاهرة وذهب عن وجهها ذلك الشحوب الذى كاد يقتلها وقالت : (شكراً لله الذي من على بتلك السعادة إذ قرأت فى قلبك شرف العاطفة وصدق المقال) . فقال (ستحقق الأيام آمالنا قريباً ياأنصاف)

وما كاد يتم جملته حتى أعلنه الخادم بقدوم صديق روحه ورفيقها الاول محمود .

٤ — الاخاء الصافى

فأذن له بالدخول و ذهب اليه علاء فتقابلا بشغف واشتياق شأن الأخوة الأول ، وقد كان محمود رفيقه الأول و ابن جاره وقد كان أعز عليه من نفسه . و لقد كان محمود هذا على جانب عظيم من شرف النفس ومتانة الاخلاق وصدق الوفاء مما جعل المرحوم والد علاء يوصى ابنه باستمساكه بعروة هذه الاخوة والصداقة المتينة ،فتحادثا ماشاء لهما الحديث، وكثيرا ما كان محمود يتقدم إلى علاء بالنصح و الارشاد شأنه فى كل مقابلة مما زاد رغبة علاء فيه وكان يريد ان يفاتحه في حديث الصديق الجديد عزيز وياليته . ولكنه رأى أن فى استطاعته ردعه وارجاعه بنفسه فى مقابلة الغد . و بعد ساعة قضياها فى ألذ الحديث و أهم الشئون ، استأذن محمود على أن يوالى الزيارة حسب رجاء علاء ، انصرف مودعاً بمثل ما قوبل به من الحفاوة والتجلة ثم عاد علاء إلى حيث أخته وخطيبته فوجدها على أهبة الخروج فرجاها في البقاء فنزلت على ارادته ومكثوا طول اليوم فى عذب الحديث وترتيب الامور حتى أذنت الشمس بالمغيب فاستأذنت انصاف أذ لا يمكنها الانتظار لأن والدتها فى انتظارها . فاضطر علاء أن يودعها و قد أخذت معها قلبه و بات ليلته يناجى نفسه بقرب اللقاء و السعادة ،كما كان حالها أيضا . حتى أصبح الصباح و بدأ يدبر بعض الشئون التى كانت لا تزال تشغله .

٥ — الصراع بين الفضيلة والرذيلة

علم علاء بقدوم (عزيز) فقام لمقابلته فسلم عليه وفاتحه عزيز قائلا : (لعلك تكون مسروراً بلقائك ابنة عمك ، وانما أخشى أن تكون من أولئك الذين يفتنون بشيء اسمه الحب أو يقعون فى حبائل العهد الذى يسمونه الزواج ؛ وما أظن المسألة إلا هذا ؛ أليس كذلك ؟) فأجاب علاء (نعم انها خطيبتى و حبيبتى التى سأسعد بها قريبا) فضحك عزيز وهز رأسه استخفافا وقال (لقد وقعت ياعلاء . . خطيبتك !! هأهأهاه . . . انك لاتزال ترسف فى قيود الرجعية العنيفة التى يعانيها العالم المتمدن . نعم انك لا تزال متمسكا بمبادىء القرون الاولى !!!)

(أنت من أنصار الزواج ؟ أنت من الذين يقيدون أنفسهم بقيد الزواج الذى هو أشبه شيء بقيد من الحرير ، إلا أنه أقطع من قيد الحديد ؟ من ذا الذى يترك التقلب في أحضان الغانيات الفاتنات يرتع بينهن و ينعم بجمعهن ليكون أسير واحدة يسأمها وتسأمه ولن يجد عنها محيصا ؟ ناهيك بما يتبع ذلك من الاولاد و النسل مما يقيد حرية الانسان و يحرمه لذة السعادة فى المجتمع الانسانى ولكن على كل حال . . .) فقاطعه علاء قائلا : (انك يا عزيزى اتخذتنى تأنيبا وتعنيفا على تمسكى بمبادىء الفضيلة والسعادة الحقيقية التى ينبنى عليها اتساع العمران ورقى المجتمع وتدعونى الى هذه الهمجية البهيمية التى يقول بها اولئك المتعجرفون ممن يدعون أنهم أنصار المدنية فينفرون من الزواج و يأتون كل موبقة نتيجتها الفناء المحتم . أنا لا أعتقد إلا أن هذا كله انما هو جبن عن تحمل أعباء الحياة وتخلص من ميدان الرجولة)فتجهم وجه عزيز وقال فى حدة (فضيلة !سعادة !عمران! ومن الذى قال ذلك إلا أرباب العقلية الاولى؟ أنها كلها الفاظ جوفاء لو فتشتها لم تجد لها مدلولا . ولقد صدق بها الانسان الاول لقصر عقله وقلة تجاربه ؛ وانى بما لى من تجاريب الحياة قبلك انصح لك بنبذ كل هذه

التقاليد العمياء التي تحمل الانسان فى دنياه مالاقبل له به ولاقدرة له على حمله فثب الى رشدك واقتنع ولاتكثر على من الفاظ الرجعية التي ملتها الاسماع ولجها الذوق السليم. والآن أودعك لزيارة صديق آخر واستعدلنزهة نقضيها يوم الجمعة ان شاء الله مع بعض الاصدقاء.) فقبل علاء ذلك وودعه ، وبينما هو راجع اذ بصر بخطيبته فى دهليز القصر مع أخته فذهب اليهما وتحدثوا فى بعض الشئون ثم ودعته وانصرفت. ووجه علاء همه الى انجاز أعماله حتى يكون على تمام الاستعداد فى الميعاد الذى ضربه عزيز

٦ ـ الوقوع فى الشر

وكانت نزوة الشباب قد لعبت برأس علاء اذ نراه يتلهف للقاء عزيز عساه يحظى بتلك النزهة التي قد تصورها كاحسن أمنية يتمناها الانسان ؛ وما هى الا دقائق حتى علم بقدوم عزيز فى جلبة وضوضاء مع بعض رفاقه فاذن بالدخول وأمر علاء الخادم باعداد المركبة ومالبث هذا أن أعلن انتظارها على تمام الاستعداد فركبوا وسارت تنهب بهم الارض نهبا وهم فى ضحك ودعابة حتى أشار عزيز على السائق أن يقف أمام قصر فخم وسط حديقة يانعة الازهار ، وما عتموا أن نزلوا ، وما هى أن توسطوا الحديقة حتى قابلهم خادم حيث قادهم الى حجرة كان فى انتظارهم على بابها عدد من الشبان فدخلوا الحجرة التي قد توسطتها مائدة صنفت من جميع الصنوف والاشكال من طعام وشراب فأذن لهم بالجلوس فالتفوا حول المائدة وبعد أن تم التعارف ابتدأوا فى الطعام والشراب والزعت الكؤوس ودارت الاقداح ووزع الحباب بين الاحباب ، ومازالوا كذلك حتي لفت الخمر برؤوسهم فقاموا تمايلين يتمايلون ذات اليمين وذات اليسار ويترنحون بالاصوات المزعجة التي تنفر منها النفس وتصم الاذان مما هيأته لهم الراح ، وقد ذهبوا الى حيث يقضون يومهم وليلتهم بين الغانيات وفى أحضان المومسات حتى أطلت عليهم كاشفة الفضائح

من بين السنائر والمنافذ فراحوا الى منازلهم فى غاية الضعف والاعياء وفى جملتهم علاء الدين الساذج الذى خدعته الغواية وأضله اخوان السوء فانغمر فى لجتهم وأفاض من حيث أفاضوا وانغمس فى الشهوات والملاذ فكان من الضالين ولقد تبعه هؤلاء الاخوان حتى تمكن الشر من نفسه فصار لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار الا اذا كان بينهم أو فى مجلس الشراب والشباب هكذا ، سيما وقد كان فتنة القلوب بمنظره ، اذا صار ملك القلوب والافئدة و زاغت فيه الاعين والبصائر فلذت له هذه الحال وطاب لديه هذا النوع من العيش والتف حوله عدد من النسوة اللاتى فتن بماله وجماله فكان يغدق النعم و يكثر العطايا و يبذر المال بذرا ودأب على هذا الحال مدة غير مبال بما يجره عليه كل ذلك من اتلاف فى الصحة وضياع لما خلفه له والده مما كان لا يأتى عليه عد ولا تفنيه السنون ولما لم يجد لديه من المال من ايراده طلبه ،اقترض وما أسهل القرض على مثل هذا وسار أرباب الشهوة فى جمع المال من غير الطريق الشرعى فى أثره يمدونه بكل ما يطلب حتى أصبحت تلك الثروة الطائلة مهددة بالفناء .

وظلت المسكينة ابنة عمه وخطيبته تزور المنزل كل يوم تقابله فتبث اليه بعض النصيحة عله يرتدع فما كانت تجده الا فى حالة سكر عميق أو بين هؤلاء الاشرار ، بل لقد كانت رؤيتها له تزيدها ألما على ألم وداء على داء فكانت تركن الى ابنة عمها يتشاكيان و يتباكيان حتى أدلهم الخطب وفدح ولا من نصير ولقد كان محمود الطيب القلب يكثر من زيارة المنزل علّه يقابله على انفراد ساعة أو يستطيع أن يحول بينه وبين هذا التيار فما كان يوفق ولا يستطيع ذلك

٧ـ الخطر المحدق

الى أن كان اليوم التاسع من الشهر الثالث عشر من تاريخ تلك النزهة المشئومة اذا برجل من رجال القضاء يحمل ورقة قدمها للبواب وأخبره أنها

انذار لسيده ان لم يدفع المبلغ فى ظرف أسبوع تكون جميع أملاكه معرضة للبيع للوفاء به . فحملها الخادم الى سيدته أخت علاء وما أتت على ما فيها حتى صعقت المسكينة وسقطت واهية القوى فى حالة اغماء شديد وما كاد الخادم يتوسط الدهليز حتى رأى المسكينة إنصاف فأخبرها بالخبر فسارت الى أختها علها تقف على الحقيقة وما كادت تطأ قدمها الغرفة حتى فزعت وأسرعت الى عمل الاسعاف الممكن حتى أفاقت المسكينة سعاد وجلسا الى بعضهما وما هى الا هنيهة حتى أخبر الخادم بقدوم الصديق محمود فيما ذا نجيبه ؟

وبينما محمود فى انتظار الخادم اذ أبصر عربة علاء على بعد كاد تشق أجواز الفضاء فانتظر وبعد لحظة وقفت العربة ونزل منها المأفونون يحملون علاء على أيديهم كالجثة الهامدة وطاروا به الى حيث غرفته حيث وضعوه على سريره ولاذوا بالفرار . كل هذا ومحمود مبهوت لهذا الحادث وقد علم بحادث الانذار فاشتدت آلامه . ولكن لابد من الاسراع الى الانقاذ فأخبر الطبيب عن المسألة .

٨ ـ النجاة

وقصد محمود الى علاء فى غرفته وكانت بها الأخت والخطيبة فتراجع قليلا وما هى الا لحظة حتى حضر الطبيب وبدأ يفحص المريض والكل من ورائه فى حالة سكون ووجوم ينتظرون الرأى الأخير ، الى أن رفع الطبيب رأسه قائلا لاتخافوا فالعاقبة سليمة ان شاء الله . انه مغمى عليه على أثر افراطه فى الشراب ويظهر انها انقلبت حمى وسأنظر . وعاد الى الفحص وعمل الاسعاف وهو يقول : لاخوف اطمئنوا . حتى عاد المريض الى الحركة والتنفس الى حدما ولكنه لايزال فى غيبوبته وهكذا لبث المسكين يعانى الم الحمى وأمراضا أخرى

خطيرة شنيعة . كادت تفتك به لولا العناية الآلهية التي انقذته لأخته وخطيبته ولولا مساعدة ذلك الصديق الحميم الذي لم يكفه أن يلاحظ حالته الصحية بل أمنه بهمة وحزم عالج المسألة المالية بعناية وحرص . وظل يتابع المسألة بدقته ومهارته وظل المسكين علاء أياما لا يعي فيها شيئاً الى اليوم السادس حيث انتبه ووعى ما بجانبه ومن يقوم بحراسته وما يجري حوله فكان كلما نظر يبكي وينتحب وهما يهونان عليه ويهدئان من روعه وكلما رأى محمود يتمنى ان لو عادت اليه صحته فيخر راكعاً لصديقه الذي خدمه لالمأرب أو لغاية

الى أن كان اليوم الخامس والأربعون واذا به قد تماثل للشفاء ونهض واقفاً مستغفراً منيباً الى ربه تائباً عن جميع ذنوبه طالبا منهم الصفح عنه وهم يحمدون الله على تماثله للشفاء ويهنئونه بذلك واذا بالخادم يعلن قدوم الصديق محمود وما كاد علاء يراه حتى جرى نحوه مستغفرا قائلا أنقذت حياتي فبماذا أكافئك ..

الخاتمة

فقاطعه محمود (لاشيء ياأخي فما فعلت غير الواجب وما جئت إلا لاهنئك على أن آخر قسط من ديونك قد دفع اليوم ولم تخسر سوى جزء يسير جدا من ضيعة كذا ، فدهش علاء دهشة الفرح وقال (الآن وقد عصيت وكنت من الخاسرين فلا تضرن عن سيئاتي ولا ستغفرن ربي ولتفرضوا على ماشئتم فلكل منكم حياتي فاقتسموها فأنا من الطائعين .

فأجابه محمود (لاشيء ياعلاء مطلقا ولا تحمل نفسك أكثر مما يجب وليس علينا جميعا إلا أن نحمد الله على ان زالت تلك الغمة التي نكدت عيشنا جميعاً غير أني أرى أن الانصاف أن تفيء الى أنصاف) فاحمر وجهه خجلا وسكت . فردت انصاف قائلة (وانى أرى ان الاجدر بمحمود ان

ينال سعاد وما أراني خاطئة فى هذا ولا أظن علاء أو سعادا تمانع فذلك هو هو المرام. فاغضت سعاد حياء ولكن علاء صاح قائلا الرأي ماقلت يا انصاف محمود أهل لها ولامراء ثم ساد السكوت مدة وعلامة الرضى والارتياح من الجميع وشمل السرور القصر من جميع نواحيه وأعلنت الخطبة لكل من الزوجين وبعد أيام تم الزفاف فى حفلات الانس والسرور بين جميع الأهل والاحباب ولم يغب منهم أحداً فكانوا سعداء الى الابد .

م — س

لذة العمل

إن البهجة والغبطة اللذين نشعر بهما بالعمل الذى نؤديه ليسا شيئا مفرحا فقط، وانما هما وسيلة وعون لنا لنسير فى عملنا نحو الكمال

والحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه ليس من انسان يستطيع أن يؤدى عملا متقنا اذا لم يشعر باللذة فى ادائه

ان التذاذ الانسان بعمله هو بمثابة آلة الصقل . صحيح إن العمل قد يتم بدونها ولكنه يكون عملا ابتر ، مظلم ، خاليا من كل رواء وبهجة